التآخـــــي بين المهاجـــــريـــن والأنصـــــار ـ
نموذج تطبيقي لتنمية المجتمع المحلي والإسلامي

أ ـ نجيب على راشد أبو مرة ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

المقدمـــــــــــة:

يتناول البحث المؤاخاة كونها عمل إبداعي لمواجهة الصعوبات التي واجهتِ المجتمع المسلم بعد الهجرة إلى المدينة المنورة ، بل يذهب البعض إلى أنَّ المؤاخاة حدثت وعقدت أول الأمـــر في مكة المكرمة بين المهاجرين أنفسهم من أجل إنماء روح الأخـــــوّة الإسلامية، وإزالة رواسب الجاهلية من نفوس المسلمين حتى أصبح لا فرق بين حر وعبد ولا بين أبيض ولا أسود.

وبعد الهجرة إلى المدينة المنورة والنجاح الأول للمؤاخاة في مكة المكرمة نجد أنَّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. وقد وردتِ المؤاخاة في العديد من المصادر كصحيح البخاري وصحيح مسلم والسيرة النبوية لابن إسحاق والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد، إلَّا أنَّ دراسة المؤاخاة تعترضها بعض الصعوبات أهمها:

الاختلاف بين قوائم المؤاخاة بين كتب الحديث وكتب السير والمغازي كابن إسحاق وابن سعد، فقوائم ابن إسحاق تختلف عمَّا أورده ابن سعد كثيرًا، ومن الأمثلة على ذلك، أنَّ سعد بن معاذ (رضي الله عنه) في رواية ابن إسحاق تآخى مع أبي عبيدة بن جراح (رضي الله عنه). وفي رواية ابن سعد أن سعد بن معاذ (رضي الله عنه) أخاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، وأنَّ الذي أخاه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أبي عبيدة بن الجراح هو محمد بن مسلمة (رضي الله عنه)، وفي صحيح مسلم أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخى بين أبي عبيدة بن الجراح وأبي طلحة الأنصاري.

المبحث الأول ـ المـؤاخـــاة:

تُعدُّ المؤاخـــاة إحدى أهم الأعمال المهمة في تاريخ السيرة النبوية، وقد أجمعتِ المصادر على أنَّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة إلى المدينة المنورة سنة 622م. وشملت المؤاخاة خمسة وأربع رجلا من

المهاجرين مع مثل هذا العدد من الأنصار بضمنهم سبعة عشر ممن حضر بيعه العقبة الثانية [1]، وذكر ابن سعد أنَّ المؤاخاة كانت على الحق والمواساة.

أشارتِ العديد من المصادر إلى وجود مؤاخاة قد حدثت بين المهاجرين أنفسهم قبل وقوع مؤاخاة المهاجرين والأنصار، فقد ذكر البلاذري أنَّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) آخى بين المسلمين في مكة قبل الهجرة على الحق والمواساة فآخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وعمر وبين عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال بن رباح وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة (رضي الله عنهم) [2]، ومن الذين ذكروا مؤاخاة المهاجرين فيما بينهم ابن حبيب [3]، وكذلك ابن سعد ذكر العديد من المهاجرين الذين آخى بينهم النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة، والزبير بن العوام وابن مسعود وأبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة، وسعد بن أبي وقاص ومصعب بن عمير، إلَّا أنَّه لم يحدد تاريخ المؤاخاة[4].

وكما وردتِ العديد من الروايات التي تؤكد وقوع مؤاخاة مكة منها ما نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني حين قال، قال ابن عبد البر: " كانتِ المؤاخاة مرتين ، مرة بين المهاجرين خاصة وذلك في مكة " [5]، وأضاف قائلاً: " وأنكر ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصًا مؤاخاة النبي - صلى الله عليه وسلم - لعلي، لأنَّ المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضًا ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأحد منهم ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري، وهذا رد للنص بالقياس وإغفال عن حكمة المؤاخاة، لأنَّ بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى فآخى بين الأعلى والأدنى... وكذلك مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة لأنَّ مولاهم فقد ثبت أخوتهما وهما من المهاجرين وسيأتي في عمرة القضاء قول زيد بن حارثة أنَّ حمزة بنت أخي، وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن أبي الشعثاء عن ابن عباس: آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين الزبير وابن مسعود وهما من المهاجرين قلت: وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني وابن تيمية يصرح بأنَّ أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث "المستدرك" وقصة المؤاخاة الأولى أخرجها الحاكم من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر... فإذا انظم هذا إلى ما تقدم تقوى به [6].

وممَّا يؤيد ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر أنَّ العديد من الذين عقدت بينهم مؤاخاة مكة كان بعضهم من الموالي والأحلاف وآخرون من سادة قريش، ومن أبرز بطونها

فزيد بن حارثة مع حمزة بن عبد المطلب، وسالم مولى أبي حذيفة مع أبي عبيدة بن الجراح، وبلال بن رباح مع عبيدة بن الحارث وعبد الله بن مسعود مع الزبير بن العوام، فخلق نوع من التواصل والتلاحم والانصار في أخوة الدين التي لا فرق فيها بين أبيض وأسود وبين حر وعبد وبين عربي وأعجمي، ومن هنا نفهم ذلك الرابط الأخوي الذي جمع بين عبيدة بن الحارث رأس بني المطلب وزعيمهم وبين بلال بن رباح الحبشي، فتحطمت بتلك الأخوة نوازع الجاهلية الدفينة في نفوس المسلمين فأصبح السيد أخا للعبد وذابت الطبقية التي كانت تحكم الجاهلية العربية.

وممَّا تقدم نعرف كيف كانت المؤاخاة إبداع سواء مؤاخاة مكة أو مؤاخاة المدينة، رفعت المجتمع المسلم إلى التطبيق العملي وليس بالأقوال.

تشريع المؤاخـــاة (المدينة المنورة): بسبب الصعوبات التي واجهتِ المسلمين عند مقدمهم إلى المدينة المنورة كانتِ المؤاخاة من أهم الأعمال الإبداعية التي أوجدها الرسول - صلى الله عليه وسلم - من أجل إنجاح مسيرة المجتمع المسلم، فكانتِ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وعلى الرَّغـــم من الاختلاف في تاريخ تشريع المؤاخاة إلَّا أنَّها كانت في السنة الأولى في الهجرة.

وشرعت مؤاخاة المدينة بين المهاجرين والأنصار لعدة عوامل وهـــــــي:

الأول : بناء مجتمع إسلامي جديد يقوم على روابط جديدة تختلف عن الروابط المعروفة لدى العرب قبل الإسلام وهي رابطة العقيدة والأخـــوة الإسلامية، التي أصبحتِ الرابطة الأولى التي تربط أفراد المجتمع المسلم وتكوين مجتمع مسلم بعيد عن عصبيات الجاهلية مثل القبلية، فلا حمية إلَّا للإسلام ولا رابطة إلَّا والإسلام فوقها كما قال محمد الغزالي : " وأن تسقط فـــوارق النسب واللون والوطن فلا يتأخر أحد ولا تقدم إلَّا تقدم إلا بمرؤته وتقواه وقد جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذه الأخوة عقدًا نافذًا، لا لفظًا فارغًا "[7]، وعمل نظام المؤاخاة على إيجاد وإنفاذ أمر جديد وهو أنَّ أخوة العقيدة أرفع وأثمن من جميع المصالح، وأنَّ القيم الروحية تسموا فوق كل الاعتبارات والامتيازات [8]، وأكدتِ المؤاخاة على الوحدة الإسلامية التي أكد عليها القران الكريم **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـونَ إِخْـــــــوَةٌ)** [9].

الثانـــي : معالجة الأزمة المالية الناتجة عن الهجرة إلى المدينة المنورة، فالمهاجرون تركوا أموالهم وديارهم وخرجوا فارين بدينهم إلى الله، وكانت مشكلة معيشتهم وسكناهم تواجه الدولة الناشئة، فكان وضع المهاجرين بحاجة إلى علاج سريع وحل مؤقت واستثنائي [10]، إلى أن يستعيد المهاجرون مقدرتهم المالية ويتمكنوا من بلوغ مستوى

الكفاية [11]، وبذلك شرعت المؤاخاة التي عالجت مشكلة المهاجرين وطمأنتهم على معيشتهم من خلال قانون مشرع يكفل تلك المعيشة من دون إشعارهم بأنَّهم عالة على الأنصار، الذين عرضوا على إخوانهم أن يتقاسموا الثـــروة بينهم حتى شهد القرآن الكريم للأنصار شهادة لا يحتاجون إلى ثناء الناس بعد هذه الشهادة من خالقهم رب السموات **(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)** [12].

الثالث: أبعاد أي توجه أو فكرة لدى الأنصار بأنَّ الذين قدموا إليهم هم حلفاء للأوس والخزرج فقد قال ابن حجر العسقلاني: "أنَّ معنى الحلف في الجاهلية معنى الحلف في الإسلام، ولكنه جار في الإسلام على أحكام الدين وحدوده، وحلف الجاهلية جرى على ما كان يتواضعونه بينهم بآرائهم [13]، ومن هنا كان اختلاف المؤاخاة عن أحلاف الجاهلية، فالمؤاخاة كانت قائمة على الدين وأحكامه وعلى المساواة بين المسلمين بل تقدمت على الحلف" من حيث إنَّ لها سمة اجتماعية أعمق وتتبعها التزامات مالية " [14]، والمؤاخاة في هذا الجانب بكونها نظامًا إسلاميًّا قائمًا على المساواة بين المتآخين وتقديمها على علاقات النسب والأرحام تؤدي إلى أبعاد فكرة الأحلاف أو معاملة الأنصار للمهاجرين على أنَّهم حلفاء لهم، حيث أصبحتِ العلاقات قائمة على المساواة في الحقوق والواجبات.

الرابع: ذهب السهيلي إلى أنَّ سبب المؤاخاة كان اجتماعي نفسي فقال:" آخى بين أصحابه حين نزلوا المدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما ظهر الإسلام واجتمع الشمل ذهبت الوحشة"[15].

ومن هنا كان السبب الاجتماعي في تخفيف حدة الغربة وما وقع على المهاجرين من أثار مفارقة الوطن عاملاً من عوامل إعلان المؤاخاة، فهي تؤدي إلى مواساة المهاجرين وتجعل لهم أخوة يعتنون بهم، ويقومون بشؤونهم حتى لا تؤثر عليهم مفارقة الأهل والوطن، فيسرت للمهاجرين صلة وثيقة بأهل المدينة من الأنصار، وخففت من عزلتهم، ووسعت نطاق علاقاتهم، وأمنت لهم ملجأً يعينهم على تخفيف الشدائد عنهم [16].

وبعد النجاح الذي حققته المؤاخاة من ربط المسلمين بعضهم ببعض وجعلت لهم حقوق خاصة كالمواساة بين الاثنين، والمواساة ليست محدودة بأمور معينة بل مطلقة

لتعني كل أوجه العون عن مواجهة أعداء الحياة سواء كان عونًا ماديًّا أو رعاية أو نصيحة وتزاور ومحبة، وبعد أن اتسعت أحوال المهاجرين بعض الشيء، وقيام أوضاع اجتماعية مستقرة أكد القران الكريم إلغاء نظام المؤاخاة من ناحية الالتزامات الناشئة عن التوارث بين المهاجرين والأنصار ونزول الآية: **(وَأُولُـــو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَـــى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ)** [17]، نسخت الآية التوارث بموجب نظام المؤاخاة فقط، وبقيت المؤاخاة كنظام وقانون يعمل على ربط المسلمين مع بعض، ولم يلغ ما كانت تحويه من علاقات المحبة وبقيت لها أثرًا كبيرًا في نفوس الصحابة، وهي التي عقدها لهم الرسول- صلى الله عليه وسلم - قال عمر (رض): إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال: مع أبي رويحة لا أفارقة أبدًا للأخوة التي كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - عقدها بيني وبينه " [18].

وأنَّ علاقات الأخوة القائمة على المحالفة في طاعة الله والتناصر في الدين والتعاون على البر والتقوى لم تتسخ وقد أبطل القرآن الكريم الميراث وبقي ما لم يبطله القران وهو التعاون على الحق والنصر، لذلك نفهم ورود العديد من الأسماء في قوائم المؤاخاة بعد معركة بدر، رُغم إنكار بعض المؤرخين كالواقدي الذي روى عن الزهري، أنَّه كان ينكر كل مؤاخاة وقعت بعد بدر ويقول: " بدر قطعت المواريث " [19]، وأجاب ابن حجر ردًّا على الواقدي قائلًا: " وهذا لا يدفع المؤاخاة من أصلها، وإنَّما يدفع المؤاخاة المخصوصة التي كانت عقدت بينهم ليتوارثوا بها، فلا يلزم من نسخ التوارث المذكور إن لا تقع المؤاخاة بعد ذلك على المواساة ونحو ذلك" [20].

وممَّا تقدم أنَّ هذا الفعل الإبداعي للنبي - صلى الله عليه وسلم - في تشريع المؤاخاة لم يقتصر على مؤاخاة مكة المكرمة التي أزالت رواسب الجاهلية، وجعلت المسلمين كالجسد الواحد في المساواة والتواد والرحمة والمحبة والتواصل، وكذلك المؤاخاة المخصوصة بالتوارث بين المهاجرين والأنصار بل أنَّ النجاح الذي تحقق من المؤاخاة جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يستمر يؤاخي بين أصحابه مؤاخاة مواساة وتعاون وتناصر دون أن يترتب على ذلك حق التوارث بين المتآخين، وان النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يؤاخي بين من يأتي بعد ذلك إلى المدينة المنورة ومن هنا نفهم لماذا كان الواقدي ينكر مؤاخاة معاذ وجعفر بن أبي طالب، ومؤاخاة سلمان الفارسي وأبي الدرداء، والمنذر بن عمر، وأبي ذر الغفاري " كيف يكون هذا هكذا ؟ وإنَّما آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه قبل بدر وأبو ذر يومئذ غائب عن المدينة، ولم يشهد بدراً ولا أحدا ولا الخندق وإنما قدم على رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - المدينة بعد ذلك وقد قطعت بدر المؤاخاة حين نزلت أية الميراث فالله اعلم "[21].

ويذهب الحافظ ابن حجر العسقلاني إلى اعتماد منهج الصحيح من الروايات كي يفند ما قاله الواقدي ويجزم بصحة استمرارية المؤاخاة معتمدًا على رواية الإمام البخاري قائلاً: " وقد جاء ذكر المؤاخاة بين سلمان وأبي الدرداء من طرق صحيحة غير هذه – أي رواية البخاري – وذكر البغوي في معجم الصحابة من طريق جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال: آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين أبي الدرداء وسلمان فذكر قصة لهما غير المذكورة هنا، وروى ابن سعد من طريق حميد بن هلال قال: آخى بين سلمان وأبي الدرداء فنزل سلمان الكوفة ونزل أبو الدرداء الشام ورجاله ثقات " [22].

وأخيرًا فإنَّ المؤاخاة التي شرعت بين المؤمنين باقية لم تنتسخ سوى ما يترتب عليها من توارث فإنَّه منسوخ، وبوسع المؤمنين في كل عصر أن يتآخوا على المواساة والارتفاق والنصيحة [23].

المبحث الثاني ـ تنمية الإبداع والمواهب:

ولتشريع المؤاخاة جانب أخر هو تنمية المهارات والقدرات والمواهب التي تميز بها الصحابة، فالقدرات والمهارات والتوجهات تختلف من شخص إلى أخر، رغم ما كان يجمع بين الصحابة (رضي الله عنه) من صفات مشتركة عديدة ميزت المجتمع المسلم، وهي التوحيد والإيمان العميق والطاعة التامة لله والرسول (صلى الله عليه وسلم) والسبق والتسابق إلى الخيرات، وصفات المجتمع المسلم على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) تناولتها دراسات عديدة وضحت أهم الميزات والصفات المجتمع الذي أصبح قدوة لكل المسلمين في كل زمان ومكان[24].

وعرف النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو المربي الأول ميول الصحابة ومواهبهم وعمل على مراعاتها وتنميتها كي تكون في خدمة المجتمع، وعرف هذا العمل بمراعاة الفروق الفردية كل حسب طاقته وقدرته ومزاياه، ومراعاة الفروق الفردية تخدم الشخصية الإسلامية من خلال تفحص معادن الناس والعمل على الكشف عنها والمعادن هي الأصول، فإنَّ كانتِ الأصول شريفة، كانت الفروع شريفة... والفضيلة في الإسلام بالتقوى لكن إذا انضم إليها شرف النسب ازدادت فضلاً الى فضل.

والعرب قبل الإسلام رغم ما كانوا فيه من جاهلية إلَّا أنَّ بعض سمات الخير كانت ميزتهم منها الشجاعة والكرم والنخوة فيقول محمد أحمد الراشد: " أمَّا جيل السلف فكان

جيلًا بسيطًا فطريًّا، وكان العرب بخاصة في عزلة عن الأمم وما إثم إلا شركهم بالله تعالى.....، وهم أهـــل صدق في المقال وعفاف في الجوارح، قد غمرتهم خلوتهم الصحراوية بسكينة افتقدتها الأمم ولم تكن لهم فلسفة جاهلية تناقض الإسلام " [26].

فلا عجب أنَّ كل شخص أو صحابي امتاز بصفات غلبت عليه في الإسلام من جراء ما وهبه الله من صفات وميزات في خلقة وما اكتسبه من خبرات ومهارات من جراء التربية الإسلامية التي تلقوها من خير معلم ومربي نبيهم - صلى الله عليه وسلم - حين غدتِ الشريعة الإسلامية هي التي صنعت المجتمع الإسلامي، وهي التي حدَّدت سماته ومقاماته وهي التي وجهته وطورته فكانت منهاجاً إليها لتطوير البشرية كلها [27]، فبرزت شخصيات إسلامية كل واحدة اتسمت بصفات صارت دلالة على شخص الصحابي وميزته عن غيره حتى عرف العديد من الصحابة بصفات أكدها النبي - صلى الله عليه وسلم - وعمل على تحفيزها وإنمائها فقال - صلى الله عليه وسلم - :" **ارحـــم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وإقراءهم لكتاب الله أبي بن كعب، وافرضهم زيد بن ثابت وأعملهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، إلَّا وأنَّ لكل أمة أمينا وأنَّ أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح** "[28].

وعلى هذا الأساس والمنهج شرعتِ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كي تنمي المهارات والقدرات والمواهب لدى الجيل القرآني الفريد، فعمل النبي - صلى الله عليه وسلم - على الجمع بين الشخصيات المتشابهة المتقاربة في الميول والأفكار فتعزَّزت المهارات وصقلت المواهب وسمت الأخلاق لدى الصحابة من خلال الجمع بين المتماثلين في المواهب، وخلقت بيئة أو مناخ لتطوير هذه المهارات من خلال لانسجام التام بين الأفراد.

وبعد تتبع جداول المؤاخاة والأسماء التي وردت فيها نلاحظ ذلك التوافق العجيب بين الصحابة المتآخين في العديد من الصفات فالبعض امتاز بالشجاعة والأقدام والبعض بالجود والكرم والبعض بالزهد والورع وآخرون امتازوا بالتزام السنة والاهتمام بالعلم، ومن خلال ما تقدم يمكن القول: إنَّ الأسماء التي وردت لم تكن ارتجالية بل مدروسة بدقة من قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - من أجل تحفيز المواهب وتنمية المهارات لدى الصحابة من المهاجرين والأنصار.

ويمكن تقسيم جوانب الإبداع أو المواهب لدى الصحابة إلى عدة أقسام منها الجانب الجهادي والإداري وجانب الجود والسخاء وجانب العلم ونشر الفقه وسوف ندرس كل

جانب بصورة منفردة عن الجوانب الأخرى حتى نبين دور المؤاخاة في تنمية الإبداع الذي اتسمت به الشخصيات الإسلامية للمهاجرين والأنصار.

1 – الجانب الجهادي (الشجاعة والفداء): يشمل هذا الجانب العديد من الصحابة الذين عرفوا بالشجاعة والأقدام وشهدوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - كل مشاهده وقاتلوا المشركين وأعداء الدعوة الإسلامية، ودفعوا الظلم الذي وقع عليهم في عصر الرسالة **(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)**[29].

ومن أبرز الصحابة الذين عرفوا بالشجاعة والفداء الإمام على بن أبي طالب (رضي الله عنه) والصحابي الجليل سهل بن حنيف الأنصاري، فعلي (رضي الله عنه) عُرف بفدائيته الأولى، حيث واجه المشركين في نهاية العهد المكي لما عهد إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - أخطر المهمات حين أمره - صلى الله عليه وسلم - أنَّ يبيت في فراشه - صلى الله عليه وسلم - ويكون عرضة لسيوف الشرك الحاقدة على الإسلام والرسول - صلى الله عليه وسلم - فلم يرهب بل كان اختبارًا بين شجاعة على بن أبي طالب (رضي الله عنه) الذي لم يغب عن أي غزوة من غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، إلَّا ما كان من غزوة تبوك سنة 9هـ حين خلفه في أهله، وكان على (رضي الله عنه) حامل راية النبي - صلى الله عليه وسلم - في بدر سنة 2هـ وفي كل مشهد وثبت يوم احد سنة 3هـ مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وبايعه على الموت وبعثه النبي - صلى الله عليه وسلم - أميرًا إلى اليمن وإلى الفلس وقصة غزوة خيبر سنة 7هـ تغني عن كثير من المقال [30].

أمَّا سهل بن حنيف فكان كصحابه على بن أبي طالب فارسًا شجاعًا مقدامًا، فقد شهد المشاهد كلها مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وثبت يوم أحد حين انكشف الناس وبايع النبي - صلى الله عليه وسلم - على الموت وكان راميا مشهورًا [31].

وشهد النبي - صلى الله عليه وسلم - لسهل بن حنيف بالشجاعة والأقدام، فاخرج الطبراني في المعجم الكبير "جاء علي إلى فاطمة رضي الله عنها يوم أحد فقال: امسكي سيفي هذا فقد أحسنت به الضرب اليوم فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إن كنت أحسنت القتال فقد أحسنه عاصم بن ثابت وسهل بن حنيف [32]، واستمرتِ العلاقات الحسنة والأخوة بين علي بن آبي طالب وسهل بن حنيف إلى وفاة سهل وشارك مع علي في صفين سنة 36 هـ [33].

وفي الجانب الجهادي يتشارك العديد من الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين امتازوا بالشجاعة والأقدام والشوق إلى الجزاء العظيم من الله تعالى والحرص على

الشهادة، فلبوا نداء الجهاد في عصر الرسالة وفي العصر الراشدي خلال حروب الردة والفتوحات لبلاد العراق والشام ومصر حتى غدا جيل الصحابة قدوة لا تتكرر قدمت صورًا عجيبة من الأقدام والبطولة كانت بسبب التربية الإيمانية لمدرسة الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يدفعهم ويحفزهم للفوز بالجزاء والجنة، ومن العجيب أنَّ العديد من الذين عقدت بينهم المؤاخاة كانوا مجاهدون متلازمون وصل الآمر أن يستشهدون في المعارك الإسلامية الخالدة نفسها، كأحد والرجيع سنة 3هـ وفي حروب الردة، ومن أبرز الصحابة الذين ينطبق عليهم الوصف المتقدم عبد الله بن جحش (رضي الله عنه) وعاصم بن ثابت بن الأقلح (رضي الله عنه)[34].

2 – الجانب الإداري والقيادي: تميز العديد من الصحابة بسمات وصفات جعلت منهم أمراء وقادة أوكلت إليهم العديد من المهام في عصر الرسالة فكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يؤمرهم في السرايا والغزوات، وكانوا على قدر الثقة التي منحت لهم، وينفذون ما أُوكل إليهم بكل دقة وإخلاص، ومن خلال متابعة جداول المؤاخاة نجد العديد من الذين كانوا خليقين بالإمارة والقيادة ولديهم قدرات إدارية يعقد النبي (صلى الله عليه وسلم) بينهم المؤاخاة، فنمت مهاراتهم حتى غدوا من الذين اعتمدت عليهم إدارة الدولة وتنظيمها في العصر الراشدي.

ويأتي في مقدمة الصحابة النجباء الذين يرى فيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أنَّهم جديرون بالقيادة الصحابي الجليل زيد بن حارثة، الذي أخاه الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع أسيد بن حضير الأنصاري، فزيد كان يعده النبي - صلى الله عليه وسلم - ليكون قائدًا فذًا ويربيه ليكون أميرًا، وهو يرى فيه خصائص الإمارة خليقًا وجديرًا بها وأخرج البخاري "بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - بعثًا وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنوا في إمارة أبيه من قبل، وايم والله أن كان لخليقا للإمارة وأن كان من أحب الناس إلي، وأن هذا لمَن أحب الناس إلي بعده "[35]، فما أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة في سرية إلَّا وكان زيد قائدها لما يدل على قوة وشجاعة ومهارة زيد بن حارثة وقربه من النبي - صلى الله عليه وسلم - فاخرج البخاري "عن سلمة بن الأكوع يقول : غزوت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - تسع غزوات وغزوت مع ابن حارثة استعمله علينا "[36].

أمَّا أسيد بن حضير فقد كان قديم الإسلام شهد العقبة الثانية وكان نقيب بني عبد الأشهل [37]، وردتِ العديد من الروايات التي تبين فضل أسيد بن حضير ودوره القيادي

من بين الأنصار فنذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح:" وفي تاريخ البخاري ومسند أبي يعلى وصححه الحاكم من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن أبيه عن عائشة قالت: ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلًا كلهم من بني عبد الأشهل: سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وعباد بن بشر "[38].

3 – الجود والكرم والسخاء : فكما جمعت صفات الشجاعة بين الصحابة جمعت صفات أخرى بين آخرين منها الكرم والسخاء حتى عرف العديد من الصحابة بالجود، ممَّا يدل على أنَّ المؤاخاة ليست عملية اعتيادية ؛ بل عمل إبداعي نمّى المهارات والقدرات التي تميز بها الصحابة (رضي الله عنهم).

ومن أبرز الذين جمعت بينهم المؤاخاة وكانوا قد عرفوا بالكرم والجود عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) وسعد بن الربيع الأنصاري اللذان ضربا مثلًا في الكرم حتى عدت تجربتهم أنموذجا فريدًا يبين عمق الإيمان والمحبة، فقد عرض سعد بن الربيع على عبد الرحمن بن عوف أن يشاطره ماله وأهله على النصف، إلَّا أنَّ عبد الرحمن دعا له أن يبارك الله (عز وجل) بماله وأهله، وقال: دلني على السوق [39].

أمَّا عبد الرحمن بن عوف فكان الجود والسخاء شعاره وميراثه الذي عرف به عبر الأجيال ودلت أعماله وما تصدق به في حياته على ذلك فكان لا يقل كرمًا واتفاقًا عن سعد بن الربيع الذي ضحى بنفسه في سبيل الله، فنقل الذهبي عن ابن المبارك بسنده عن الزهري قائلا: تصدق ابن عوف على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشطر ماله أربعة ألاف ثم تصدق بأربعين ألف دينار وحمل على خمس مئة فرس في سبيل الله، ثم حمل على خمس مئة راحلة في سبيل الله"[40]، وكان ينفق في سبيل الله على الفقراء ووصلت نفقاته إلى أمهات المؤمنين وأنَّه وصلهن بأربعين ألف دينار [41]، وبينت رواية لدى ابن سعد أنَّ هذه الأموال كانت ثمن أرضه التي باعها، وهي سهمه من بني النضير وأشرك في الصدقة فقراء بني زهرة وذي الحاجة [42].

واخرج ابن القيم في زاد المعاد عن عبد الرحمن بن عوف ما يدل على كرمه وسماحته مع المسلمين فلما رآه أمية قال له: أنا خير لك من هذه الأدرع، فالقاها وأخذه، فلما قتله الأنصار، كان يقول: يرحم الله بلالا، فجعني بأدرعي وبأسيري "[43]، ويرى الذهبي أن أجود الجود وأفضل أعمال عبد الرحمن بن عوف التي تبين صدق الإيمان والكرم أنه عزل نفسه عن الأمر وقت الشورى واختار للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه، سعد بن أبي وقاص [44].

4 – الفقه والعلم وحسن الخلق : وجمعت صفات العلم والتمسك بالهدى النبوي وحسن الخلق والفقه والزهد بالدنيا بين العديد من الصحابة الذين عقدت بينهم المؤاخاة.

فجمعت صفات حسن الخلق والعلم والأدب بين الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل حين ارصد النبي - صلى الله عليه وسلم - معاذ المؤاخاة جعفر بن أبي طالب فكان جعفر سمحا جوادًا حسن الخلق محبوبا من الناس يتعهد المساكين ويحنو عليهم فاخرج البخاري من حديث أبي هريرة " وكان خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب: كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى أنَّ كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء، فيشقها فنلعق ما فيها "[45]، وأحسن ما قبل في جعفر في تمام الأخلاق وبلوغ حسنها ما صرح به النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قال - صلى الله عليه وسلم -:" وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي "[46].

أما عن معاذ بن جبل فكان شابا محبوبا براق الثنايا كما جاء في وصف أبي إدريس الخولاني[47]، ووصفه ابن مسعود بأنه كان: أمة قانتا لله حنيفا وكان من أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وأسمحهم كفاً[48].

أمَّا أهم النتائج التي تمخض عنها البحث، فهي:

1 – كانت المؤاخاة عملًا إبداعيًّا جمع بين المهاجرين والأنصار لمواجهة تحديات بناء الدولة الإسلامية الأولى، فتمكن المسلمون من بناء مجتمع قائم على دعائم ثابتة من أبرزها الحب والتعاون والإيثار انعكست أثارها الإيجابية على النجاح الكبير الذي تحقق خلال العهد المدني من الدعوة الإسلامية في كل الجوارب.

2 – كفلتِ المؤاخاة صقل المهارات وتطوير المواهب المتعددة والمتنوعة للصحابة، وتنمية الإبداع بين الصحابة من جراء الفعل النبوي الحريص على بناء جيل فريد استثمر جميع الطاقات، وحفز ورفع الهمم من خلال خلق التنافس الشريف على الخير بين المتماثلين من الصحابة.

3 – نتج عن هذا المنهج النبوي في التربية الإبداعية رجال قدر لهم تغير العالم ولا زلنا نعيش ثمار الجيل الفريد الذي فتح الدنيا واخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

4 – كان للرسول - صلى الله عليه وسلم - رؤية فذة في اختيار كل اثنين من الصحابة الذين أخا بينهما فجمع بين كل صحابي من المهاجرين يحمل نفس صفات الصحابي من الأنصار من حيث سلوكهما وطبائعهما وإمكانياتهما وتوجهاتهما، وذلك لتنمية المهارات

لكل منهما من جانب وعدم حدوث تعارض أو تنافر بين المتآخين من جانب آخر، وقد حقَّق ذلك نتائج كبيرة انعكست على مسيرة الأمة الإسلامية بشكل عام.

الهوامـــــــــش :

1 - صالح أحمد العلي، الدولة في عهد الرسول، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي 1،1988/ 86.
2 - محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، تحقيق علي محمد عمر، ط 1 القاهرة: مكتبة الخانجي 2001 م، 1 / 204.
3 - أحمد بن يحيى البلاذري، انساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله ط 3، القاهرة: دار المعارف د/ت 1 / 270.
4 - محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي، المحبر، تحقيق ايلزة ليختن شتيتر، بيروت: دار الأفاق الجديدة د/ت 70.
5 - ابن سعد، الطبقات الكبري، 3/ 111، 95، 83، 53، 49، 42.
6 - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز ط 3، الرياض: دار السلام 2000م، 7/ 338.
7 - ابن حجر، فتح الباري، 7 / 339.
8 - محمد الغزالي، فقه السيرة، ط6، الإسكندرية: دار الدعوة 2000 م، 163.
9 - موفق سالم نوري، فقه السيرة النبوية ط1 بيروت: دار ابن كثير 2006 م، 198.
10 - سورة الحجرات: الآية 10.
11 - أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ط 4 المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم 1 / 242.
12 - عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ط7، الموصل: مطبعة الزهراء 1983 م، 152.
13 - سورة الحشر: الآية 9.
14 - ابن حجر، فتح الباري، 4 / 595.
15 - صالح احمد العلي، الدولة في عهد الرسول، 1 / 96.
16 – أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، القاهرة: دار نصر للطباعة د/ت، 4 / 296.
17 - صالح احمد العلي، الدولة في عهد الرسول، 1 / 88.
18 - سورة الأنفال، الآية 75.
19 - محمد بن عبد المالك ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق جمال ثابت وآخرون، القاهرة: دار الحديث 2004 م، 2 / 373، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 214.
20 - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 4 / 267.
21 - المصدر نفسه والموضع نفسه.
22 - أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، 1 / 247.
23 - ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 514، (وقال عن معاذ وجعفر وإنما كانت المؤاخاة بعد قدوم رسول الله (ص) المدينة... وجعفر هاجر قبل ذلك من مكة الى الحبشة فهو حين آخى رسول الله بين أصحابه بأرض الحبشة وقدم بعد ذلك بسبع سنين، ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 540
24 - فتح الباري، 4 / 268.
25 - أكرم العمري، السيرة النبوية الصحيحة، 1 / 248
26 - موسى البسيط، هدي النبي في التربية الإبداعية والابتكار، بحث منشور في مجلة رسالة الخليج، ع 112 سنة 2009، ص20.

27 - محمد احمد الراشد، العوائق ط 1، القاهرة: دار النشر للجامعات 2010 م، 245.
28 - سيد قطب، المصدر السابق، 53 - 54.
29 - محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق احمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، ط2 مطبعة البابي الحلبي: مصر 1975، 5 / 665 وقال حسن صحيح.
30 - سورة الحج: الآية 39.
31 - ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 21، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، متن فتح الباري ط 3، الرياض: دار السلام، 7 /89-90.
32 - ابن سعد، الطبقات الكبرى،3 / 437، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، الخلفاء الراشدون، تحقيق حسام الدين المقدسي، ط 1، بيروت: دار الجيل 1992م، 361، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، بغداد مكتبة المثني د/ت، 2/ 87.
33 - احمد بن أيوب الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط2 الموصل: مكتبة الزهراء 1983م، 6/ 76، قال الحاكم على شرط البخاري، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفي عبد القادر عطا، ط 1 بيروت: دار الكتب العلمية 1990، 3/ 26، ووافقه الذهبي.
34 - ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3/ 438.
35 – ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 2 / 195.
36 – الطبراني، المعجم الكبير، 6 / 76.
37 – ابن سعد، الطبقات الكبرى، 3 / 472.
38 – صحيح البخاري، 7 / 110.
39 – صحيح البخاري، 7 / 106
40 – ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 2 / 34
41 – المصدر نفسه، 2 / 33 – 34
42 – صحيح البخاري، 7 / 337 – 338
43 – الذهبي سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون بيروت: مؤسسة الرسالة د/ت 81/1، قال محقق الكتاب رجاله ثقات إلا انه منقطع بين الزهري وابن عوف.
44 – سنن الترمذي، 5 / 648، وقال حسن صحيح.
45 – يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب تحقيق على محمد البجاوي، ط1 بيروت: دار الجيل 1412 هـ، 3 / 1324.
46 – صحيح مسلم، 3 / 1193.
47 – صحيح مسلم، 4 / 2127
48 – صحيح البخاري، 7 / 96